

أبو الحسن عليّ الحسيني الندوي

القرآنُ الحامِسُ عَشْرُ الحِجْرَةِ الحَدِيثُ

في ضوء التاريخ والواقع

- دراسة عميقة للتاريخ • استعراض أمين للواقع
- ومنهج شامل للعمل الاسلامي

ملتزم النشر و التوزيع

المجمع الاسلامي العلي (ندوة العلماء)

لكهنو (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامى العلمى

رقم ١٤٤

١٤٠١ هـ — ١٩٨١ م

طبع فى
مطابع الرشيد
المدنية المنورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه المحاضرة

طلب من سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسيني الندوي
أن يفتح مناسبة أسبوع مطلع القرن الخامس عشر الهجري
الجديد ، التي نظمتها «المنظمة الإسلامية للطلاب» (S.I.O.M)
في لكهنؤ (الهند) ، في قاعة المحاضرات الكبرى في المدينة ،
و ذلك في ٢٢ من ذى الحجة سنة ١٤٠٠ هـ (المصادف ١
من نوفمبر سنة ١٩٨٠ م) ، فألقى سماحته في هذه المناسبة
التاريخية الكبيرة كلمة مستفيضة ارتجلها بوحى من المناسبة
المباركة ، و أفاض في بيان الحقائق التاريخية ، واستعراض
لوقائع بعض القرون الإسلامية الماضية ، و أحداثها التي
غيرت مجرى التاريخ ، و هي تحمل عبرة و درساً للعاملين
و المفكرين ، و المخططين للعمل الإسلامي ، و الدعوة

الاسلامية في هذا العصر ، و عرض صورة واضحة صادقة
للقرون الرابع عشر الهجري الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة ،
يحاسب المسلمون في ضوءها أنفسهم ، و يقارنون بين أرباحهم
و خسائرهم ، و أخطائهم ، و إصابتهم ، ثم انتقل إلى
الحديث عن القرن الخامس عشر الهجري الذي كان على
الباب ، و ما يتطلب من استعداد و عزم ، و مواجهة
للحقائق ، و معالجة حكيمة للقضايا ، و سموهمة لقيادة رشيدة
جديدة للعالم ، نابعة من الرسالة و التعاليم السماوية التي جاء
بها محمد ﷺ آخر الرسل ، وهاجر في سبيلها ، فكان تاريخاً
جديداً للبشرية ، و تقويماً جديداً في العالم .

و سجلت الكلمة ، و نقلت من الشريط و تناولها
صاحب الكلمة بتتبع و تمذيب ، و زيادة ذات قيمة فأصبحت
رسالة مهمة ، و هدية ثمينة للقرن الخامس عشر الهجري ،
و وثيقة تاريخية جاءت فيها عصارة دراسات عميقة ، و تجارب
عملية طويلة ، و قد قام الأستاذ سعيد الأعظمي الندوي ،
رئيس تحرير مجلة « البعث الاسلامي » بنقلها إلى العربية .

وإلى القراء المحاضرة القيمة ، هدية من « المجمع الاسلامى
العلمى » بمناسبة دخول القرن الخامس عشر الهجرى .

محمد الرابع الحسنى الندوى

أمين « المجمع الاسلامى العلمى »

ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

غرة ربيع الاول سنة ١٤٠١ هـ





القرن الخامس عشر الهجري الجديد

في ضوء التاريخ و الواقع

قال المحاضر بعد الحمد و الصلاة :

أصبح الحديث عن القرن الخامس عشر الهجري حديث النوادي والمحافل ، وشغل الناس الشاغل ، و شغلت المعنيين بحاضر المسلمين و مستقبلهم ، تنبؤات و تكهنات ، و تمنيات وتطلعات ، و يجب علينا أن نكون جادين واقعيين ، قوامين بالقسط شهداء لله و لو على أنفسنا و على أمتنا ، و أن نعتبر بالماضي و نأخذ حذرنا للمستقبل .

و لا يخفى أن التقويم الاسلامي - والقرن الخامس عشر جزء منه - يتبدى من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، حين يتبدى التقويم الأخرى ، بوجه عام ، بميلاد شخصية كبيرة ،

أو وفاتها ، أو قيام دولة ، أو تحقق انتصارات عظيمة في التاريخ (١) ، وكانت مصدر تقويم مستقل ، ولكن الإسلام يتميز عن الديانات الأخرى في ذلك ، فلم يسم دينه باسم نبيه ، ولكن باسم رسالته ، إذ أن الإسلام ليس اسماً لشخصية ، إنما هو اسم لمنهج و حكم إلهي ، يعني الخضوع أمام أحكام الله ، و تلك هي ميزة هذا القرن ، فإنه لم يتدىء بوجود شخصية ، حتى إنه لم يبدأ بشخصية

(١) مثلاً التقويم المسيحي الذي يسود العالم كله ينتمي إلى سيدنا المسيح عليه الصلاة و السلام ، و التقويم البكرمي الذي ساد الهند ينتمي إلى الملك « بكرماجيت » و في إيران ولدى الزردشت عرف تقويم « مان » وكلاهما ينتميان إلى يزدجرد الثالث ، أحدهما يتدىء بتاريخ جلوسه على العرش ، و الثاني يتدىء بوفاته و كذلك التقويم الغريغوري ينتمي إلى البابا غريغوري الثالث عشر الذي يسود في أوروبا كلها منذ عام ١٥٨٢ م (باستثناء الاتحاد السوفياتي واليونان).



سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت ولا تزال أحب
 شخصية إلى المسلمين بعد الله تعالى ، و لكن هذا التقويم
 لالعلاقة له بولادته صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا بوفاته ،
 رغم أنهما حدثان كبيران في هذا العالم ، و لكنه يتصل
 بهجرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

و معنى ذلك أن القرن الهجرى الجديد سيطلع علينا
 برسالة و دعوة ، و أنه لا يجدد ذكرى شخصية أو أمة
 فحسب ، بل يجدد ذكرى رسالة ، و هى أن النبي ﷺ هاجر
 من وطنه العزيز إلى موطن جديد وراء غاية عظيمة . إن هذه
 الهجرة تذكرنا برسالة سامية و باقدام كبير ، لأن النبي ﷺ
 لم يقم بها لانقاذ نفسه أو أصحابه المعدودين ، و لكنه قام
 للحفاظ على الرسالة التي أكرم بها و لاتاحة الفرصة لتبليغها إلى
 العالم كله ، إن هذا القرن يذكرنا بما للغاية الكريمة ، و الهدف
 العظيم من أهمية و قيمة ، تسهل على المرء أن يضحى في سبيلها
 بكل نفيس و غال ، إنها رسالة خالدة ذات روح عالية في
 تاريخ العالم كله ، تؤكد أن أمراً مهما كان نادراً و غريباً ،

و مهما وضع في طريقه من عراقيل ، و أثير حوله من
النقع ، إذا كان نابعاً من إخلاص النية ، و كان القصد من
ورائه إسعاد الانسانية مع تصمم العزم ، فانه يسطع ضوؤه
و ينقشع عنه الضباب ، و يتكلل بالنجاح عاقبة الأمر .

لذلك فان هذا القرن الخامس عشر الهجري لا يبعث
همة المسلمين فحسب ، بل إنه يوجه رسالة ثقة و تفاؤل إلى
النوع البشري كله ، و إلى جميع من يتوخون غاية صالحة ،
و يحملون راية دعوة نافعة ، و يبذلون مجهودات في سبيل
هدف أفضل أو غاية عظيمة ، فيحثهم على مواصلة الجهود ،
و يشرم بنجاح تحار فيه الألباب .

أما أن يكون هذا القرن الجديد سعيداً للمسلمين ،
و عن طريقهم للانسانية كلها ، أو أن يكون مشئوماً ؟
فذلك أمر لا يمكن أن نصدر عليه حكماً الآن ، فمن قضاء
الله تعالى و حقائق القرآن الأبدية التي لا تتغير هو أهمية
السعي الانساني وتأثيره ، فقد قال الله تعالى : « و أن ليس

للانسان إلا ما سعى ، (١) إن الانسان فى حياته الدنيا
و فى آخرته لا يدرك أكثر مما يسعى ، إنما يدرك ما أتبع
له سعيه كما يقول الله تعالى : « وأن سعيه سوف يرى » (٢)
إنها رسالة خالدة للنوع البشرى كله و لجميع أدوار التاريخ ،
إن سعى الانسان لا يخلو من نتائج التى يراها « ثم يجزاه
الجزء الأوفى » (٣) .

إن هذه الآية الكريمة رسالة تحمل فى طيها معانى كريمة
من الهممة العالية و الروح الفياضة ، و إذا كان الشاعر
الاسلامى محمد إقبال خاطب الانسان فى بيته الذى معناه :
« إن حياتك أيها الانسان إنما هى رهين عملك ، فاما إلى
الجنة أو إلى النار ، فانك بفطرتك لست من أهل النور
و لا من أهل النار » فانى أنشد هذا البيت و أخاطب به
القرن الجديد ، فان هذا القرن - و ما سبقه من قرون -
ليس فى طبيعته سعيداً و لا مشئوماً فى الواقع ، فان السعادة

(١) سورة النجم ٣٩ . (٢) أيضاً ٤٠ .

(٣) أيضاً ٤١ .



و الشقاء إنما يتوقفان على مساعى الانسان و اتجاه أعماله ،
 و نحن لا نستطيع أن نحكم مسبقاً لآى قرن أو سنة
 أو شهر و يوم و ساعة أن فيه سعادة أو شؤما ، ليس
 فى الاسلام نظرية الشقاء أو السعداء _____ ادة التى
 كانت و لا تزال توجد لدى أمم جاهلية ظلت بعيدة عن
 تعاليم الأنبياء عليهم السلام ، لا يسمح لنا الاسلام بأن نحكم
 على قرن قادم بأنه سعيد جداً ، تسعد فيه الأمة الاسلامية
 كل السعادة ، أو أن هذا القرن مشؤم للأمة أو للاقدار
 الانسانية ، إنه ليس تفكيراً إسلامياً ، و لا يؤيده الكتاب
 و السنة ، ذلك لأن التصور عن زمن خاص أنه سعيد
 ميمون بوجه دائم ، أو باعث على الشؤم و الشقاء ، يجنى على
 الارادة الانسانية و صلاحيته للعمل و طاقاته ، إن الانسان
 إذا اعتقد أن هناك ساعة مشؤمة تستقبله قريباً باءت قوته
 العملية بالانهيار ، وتعطلت قوة حكمه ، و قدرة صموده بتأناً .
 إن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قضى نهائياً
 على التناق بالآوهام و المغالاة فى الاعتقاد بشئى ، و الإعجاب
 بشخصية ، انكسفت الشمس ذات مرة فى عهد صلى الله
 عليه و آله وسلم و صادف ذلك وفاة سيدنا إبراهيم بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليل (١) ، و كان الله سبحانه قد أراد في ذلك تربية الأمة ، لأن العرب المسلمين آنذاك كانوا قريبي العهد بالجاهلية ، ولم يكن العالم قد تخلص من تأثيرها تماماً ، ثم إن حادث الوفاة كان أمراً غير عادي أثار العواطف ، فتكلم بعض المسلمين وقالوا: كيف لا تنكشف الشمس و قد توفي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، و لو كان مكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه المناسبة الحزينة أى داع من الدعاة ، أوزعيم من الزعماء ، أو قائد دعوة و حركة و جماعة ، لسكت على هذا الكلام ، إذا لم يوفق إلى نفيه ، ظناً منه أن ذلك الكلام إنما هو في صالح دعوته و حركته ، و ظن أنه لم يسترع الانتباه إلى هذه الناحية ، بل إن الناس بأنفسهم فكروا في ذلك و قالوا إن الشمس إنما انكسفت لوفاة ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، إذن فهو ليس مكلفاً بنفي هذا

(١) توفي سيدنا إبراهيم عليه السلام عام ١٠ من الهجرة و كان ابن سنة و نصف .

التفكير ، و ذلك هو الفرق بعينه بين النبي و غيره ، فان
الأحداث التي يستغلها أصحاب التفكير السياسي - و إن كانت
حوادث طبيعية - يرى الأنبياء الكرام عليه السلام استغلالها
على حساب الدين حراماً ، وأمرأ يرادف الكفر ، ولا أدري
أن أحداً سوى محمد صلى الله عليه و آله وسلم يكون قد
صدق في هذا الامتحان من غير الأنبياء ، و من مؤسسي
الجماعات وزعماء السياسة .

و هنالك قام رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم
خطيباً في القوم فقال : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات
الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ، (١) كأن النبي صلى
الله عليه و آله وسلم سألهما عما ذا قالوا ؟ ثم رد عليهم
بأن الشمس والقمر لا يتغيران لموت أحد من الناس
ولا لحياته ، إنما هما آيتان من آيات الله ، و متقيدان
بقياسون بخصهما ، لا يؤثر عليهما موت و لا حياة ، و لو
أن رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم آثر السكوت في
هذه المناسبة ، لم يك ذلك سبباً لفساد ، بل إن ظناً خاطئاً

(١) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ج ١ / ٢٩٦ .



كان قد وجد سبيلاً إلى قلوب الناس بنساءً على الحب
 و الإعجاب بشخصية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،
 و بحكم الاضطرار ، ولكن لم يتحملة رسول الله صلى الله
 عليه وآله وسلم و سرعان ما نفاه و قال : كلا ، إن ذلك
 الحادث لا علاقة له بأسرتي أو بولدي ، فان الكون أوسع
 من ذلك ، و إن ذات الله تعالى أغنى عن ذلك ، و قانونه
 أسمی من مثل هذه الأمور ، لقد كان ذلك إرشاداً مبدئياً
 يتعلق بالأساس ، وجه إلى النوع البشري كله ، بل العقل
 الانسانی كله ، فان العقل الانسانی أهم من النوع الانسانی ،
 و إنه يحكم النوع الانسانی ، وليس بالعكس ، لقد كان ذلك
 انحرافاً للعقل الانسانی خطيراً ، و كان لا بد من وضع
 الحد عليه .

كنت أتحدث وأقول : إن قرناً من القرون ليس سعيداً
 بذاته و لا مشؤماً ، و أضرب لكم مثالا للكأس ، إنها
 إذا كانت فارغة لا نحكم عليها بشئ ، إن ذلك يتوقف على
 ما فيها من مظروف ، فان كانت فيها خمر - أعاد الله منها - كانت



الكأس كأس الخمر ، أو كان فيها سم . دعيت بكأس السم ، وإن كان فيها ماء زلال ، أو لبن سائغ ، أو غسل مصفى ، دعيت به و نسبت إليه ، و أما الكأس بذاتها فهي بريئة و شئ حيادي ، و الأمر إنما يتوقف على ما تملأ به الكأس ، فإن ملأها أحد بالزرمز فهي كأس الزرمز ، و إن ملأها بالخمر فهي كأس الخمر ، وهنا نستطيع أن نقول ، إن سعادة أو شقاء هذا القرن إنما يتوقف على سعى الأمة التي أخرجها الله تعالى لحل رسالته الأخيرة .

و بالمناسبة أضرب لكم ثلاثة أمثال ، مثال منها لقرن ابتداء بأحداث هائلة مخيفة ، و أوضاع قائمة عابسة ، تبعث على اليأس ، و تقطع الآمال ، وقد استقبله مؤرخو ذلك العهد بشئ كثير من القلق و الحزن ، و بالجروح و الدموع ، و قد شهد المؤرخان ابن الأثير و ابن كثير ، كيف أن الأوساط الاسلامية استقبلت القرن السابع الهجري ، فقد كانت الدلائل و المؤشرات كلها تشير إلى أن ذلك القرن ليس في مصلحة المسلمين ، ولا في مصلحة الأمة الاسلامية ،

و لا في مصلحة الاسلام ، و سيكون أشام قرن في حق
الانسانية كلها ، فقد كان هذا القرن استهل بحادث غير عادى
كما يقول المؤرخ ابن الأثير الجزرى (المتوفى ٦٣٨ هـ) ، فلو
قال قائل إن العالم منذ أن خلق الله سبحانه و تعالى آدم
إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التواريخ لم تتضمن
ما يقاربها و لا ما يدانيها ، (١) .

و أعنى بذلك زحف التار الذى تم في عام ٦١٦ هـ
على أكبر مملكة إسلامية في ذلك الوقت ، و هى مملكة
خوارزم شاه ، كان ذلك في مبدأ القرن السابع الهجرى ،
و في القرن الثالث عشر الميلادى ، وقد نهض التار كجراد
منتشر ، و اكتسحوا العالم الاسلامى كله ، و دمروا تركستان
و إيران ، و أتوا على المسدن الكبيرة بأسرها و أبادوها ،
حتى إنهم رفعوا مناور عالية من رؤس القتلى و جثتها ،
و صعودوا عليها ، و أعلنوا فتحهم و انتصارهم ، و تحوالت
المدن إلى مقابر ، و لكى نقدر هول الحادث يحسن بنا
(١) الكامل لابن الأثير ١٢ - ١٤٧ .



أن قرأ ما كتبه « إيدورد جيون » في كتابه (سقوط
 وانحطاط رومة (Decline and fall of the roman empire)
 « حينما اطلع سكان السويد على الزحف التتارى عن
 طريق روسيا ، تسلط عليهم من الذعر والخوف ما منعهم
 من الخروج لصيد الاسماك كعادتهم ، إلى سواحل انجلترا (١) »
 تصوروا موقع السويد الجغرافى وسواحل انجلترا من
 المنطقة التى زحف إليها التتار ، إن صيادى الاسماك فى السويد
 الذين كانوا يمارسون مهنة صيد السمك قد بلغ منهم الخوف
 إلى حد تركوا فيه مهنتهم ، ولم يتمكن مؤلفو كتاب « تاريخ
 العهد المتوسط » الصادر من جامعة كيمبردج من تصوير
 هول الحادث والتعبير عنه سوى أن قالوا : « إن السماء وقعت
 على الأرض فدمرت كل ما فيها » (٢)

هذا نموذج تعليقات المؤلفين الغربيين على الحادث
 وانطباعاتهم ، الذين لم يتأثروا كثيراً بهذا الحادث ، ولم يكونوا

(١) جيون ص ١٦

(٢) من كتاب « جنكيز خان » لمؤلفه (هيرلدليمب)

هدف المهجمات التاريخية بطريق مباشر، ولكي نعرف مدى تأثير المسلمين بهذا الحادث و نظرتهم إليه ، يجب أن نتذكر المثل السائر في ذلك العهد الذي جاء فيه « إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق » إن المسلمين الذين لم يكونوا يعرفون لغة اليأس والقنوط ، وأمرهم القرآن فقال : « لا تقنطوا من رحمة الله » (١) و الذين كانوا يقرأون في القرآن : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » (٢) استولى عليهم اليأس ، و تقرر عندهم أن التتر لا ينهزمون .

هؤلاء التتار إنما خرجوا من حصارهم القديم من أجل خطأ سياسي صدر من خوارزم شاه ، يطلع عليه من درس تاريخه ، وقد استهدف المسلمون لرحمهم فدمر التتار تركستان وإيران وأتوا عليهما بجميع ما فيها من تراث علي وحضاري ، وفي تلك الفترة الحالكه لجأ كثير من أبناء البيوتات الشريفة ، العريقة في الدين و العلم ، و كبار العلماء ، و أئمة الفنون ،

(١) الزمر ٥٣ . (٢) يوسف ٨٧



و أصحاب العبقريّة من المسلمين ، واتجهوا إلى الهند التي كان يحكمها الملوك الأقوياء المسلمون من السلالة التركية ، كان ذلك في القرن السابع الهجري و القرن الثالث عشر الميلادي ، و قد حاول الأستاذ « آرنولد » الانجليزي في كتابه : الدعوة إلى الاسلام (Preching of Islam) أن يصور الجو الرهيب من اليأس والشعور بالهزيمة ، الذي كان يعيش فيه المسلمون ، و كان يستطيع في ذلك الوقت كل شخص يتمتع بالشعور والمشاهدة وقوة الاستنتاج من ترتيب المقدمات و الأسباب ، أن يتنبأ فيعتقد أن الاسلام قد ولى عهده ، و أوشكت شمسها على الغروب ، و لا شك فان المسلمين هم الذين كانوا هدف الهجمات التتارية في الواقع ، و قد ضاق عليهم مجال العمل والأمل معاً ، يقول « آرنولد » وهو يتحدث عن منافسين قويين الاسلام و هما : البوذية و المسيحية .

« كانا يحاولان إحراز قصب السبق في ذلك المضمار ، و ليس هناك في تاريخ العالم نظير لذلك المشهد الغريب ، و تلك المعركة الحامية التي قامت بين البوذية و المسيحية



و الاسلام ، كل ديانة تنافس الأخرى لتكسب قلوب أولئك الفاتحين القساة ، الذين داسوا بأقدامهم رقاب أهل تلك الديانات العظيمة ذات الدعاة و المبشرين في جميع الأقطار و الأقاليم ، إن مناهضة الاسلام لمنافسيه (الديانة البوذية و الديانة المسيحية) و استنثاره بالمغول ، وإحباط مساعي الدعاة البوذيين والمسيحيين ، كان يترأى شبه المستحيل (١) كل الدلائل كانت تشير إلى أن المسيحية ستنتصر ، لأنها لم تكن الخصم المناهض في هذه الحرب ، ثم إن المسيحيات و المسيحيين كانوا في قصور الأمراء من أبناء جنكيز خان ، وأركان دولته ، فاذا كانت هناك قضية اعتناقهم لدين جديد ، كانت المسيحية هي الديانة المفضلة لدى هؤلاء الفاتحين ، لم يكن يشك أحد في اعتناقهم لها .

و لكن هل تعرفون ماذا وقع ؟ لقد اضطر آرنولد إلى الاعتراف بالواقع ، يقول : « و لكن الاسلام فاجأ العالم و نهض من تحت أقباض عظمته الأولى ، و أطلال (١) الدعوة إلى الاسلام ص ٢٥٠ .



مجده-التالد ، و استطاع بواسطة دعائه أن يجذب أولئك
القائمين الوحوش ، الذين ثروا عليهم كنانة ظلمهم فأسلوا (١)
و يقول : « و على الرغم من جميع المصاعب أذعن
هؤلاء المغول و القاتل الوحشية آخر الأمر لدين هذه
الشعوب التي ساموها الخسف و داسوها بأقدامهم (٢) » .
إن القرن الذي بدأ بالشتم - إذا كان في الاسلام
بجال لكلمة شتم - القرن الذي بدأ بالظلام الشامل ،
و اليأس القاتل ، إنما تحول إلى قرن « فتح مبین » للاسلام
و بهت به العالم ، و قضى العجب بما رأى من أن التتار
الذين لم تزل أيلبهم مخضوبة بدماء المسيلين ، كيف خضعوا
للاسلام ، يقول : « هورث » .

« و قد بلغ من سوء المعاملة التي لقيها هؤلاء أن
رائضى الخيل من أهل الصين ، كانوا إذا عرضوا أشباحاً
أظهروا البشر و الحبور في صلف و إعجاب بعرض صورة

(١) أيضاً ص ٢٤٦ .

(٢) أيضاً ص ٢٥٨ .



تمثل رجلاً مسناً ذالِحياً ييضاء يجره حصان قد ربط ذيله
برقبة هذا الرجل ، إنما كان هؤلاء يفعلون ذلك ليظهروا
للناس كيف يتصرف فرسان المغول في معاملتهم للمسلمين (١)
و الواقع أن المسلمين إنما كانوا قد فقدوا كل شئ ،
و لكنهم لم يفقدوا الايمان بالله ، والثقة به وقوة العقيدة ،
و الصلة الصادقة به ، و لذلك فان الاسلام لم يمن بالهزيمة
إنما منى بها الملوك المسلمون الخزق ، و المجتمع المريض
الفاقد - أقول ذلك بصراحة و تألم - أما الاسلام فقد
كان سليماً ثابتاً في مكانه من غير أن يزرأ في أصله وقوته ،
كان المسلمون قد ظنوا أن إخضاع التار بالسيف مستحيل ،
لأن سيف الاسلام مفلول بل مكسر ، أو عائد إلى الغمد ،
و قد أثبت التار أن لديهم قوة عسكرية أقوى من المسلمين
وأنهم بعيدون عن الأدوات التي يجرها البذخ ، والحكومات
الطويلة المستبدة ، و المدنية المصطنعة ، و إنهم يملكون من
قوة التحمل و الصبر على المكاره و الشدائد ما كان ميزة

(١) تاريخ المغول لهورث ج ١ ص ١٥٩ .

العرب الأقوياء ، و فاتحى الاسلام في العهد الأول ، و أنهم لم يخرجوا من محيط الصحراء إلا بعد قرون فلا تزال طاقتهم كامنة عندهم ، لا يمكن أن تقاومها السيوف التي تحملها الأيدي التي سرى فيها الودن و أفسدتها المدينة .

فهل تعرفون من انتصر على التتار المنتصرين على العالم و من حجب إليهم كلمة الاسلام ؟ لقد نهض في ذلك الوقت العصيب ، والظلام الحالك رجال من أصحاب القلوب الصافية الذين كانوا يتمتعون بالربانية الصادقة ، و القوة الروحية الدافقة ، أسلم على أيديهم التتار على بكرة أبيهم ، في ظرف نصف قرن ، إن التاريخ كله يزخر بقصص إسلام الناس أفراداً و جماعات ، و دخول المدن بأسرها في الاسلام ، و لكن أمثلة إسلام الناس كأمة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة أمثلة فيما أعلم ، فان العرب أسلموا كأمة ، والأفغان أسلموا كأمة - و هم يعانون اليوم مع الأسف محنة من أشد المحن التي تقرر مصير الأمم ، و تحولها من جهة إلى جهة - و كذلك الأتراك و التتار لم يسلموا أفراداً ، إنما دخلوا في

دين الاسلام كأمة ، مائة في المائة ، إنه لغز من ألغاز التاريخ و قد واجهته أنا شخصياً كذلك ، و هو أن يتم هذا الواقع الذي غير مجرى التاريخ ، وخطف تأثيراً عميقاً على مستقبل العالم كله . أعنى به إسلام التتار كأمة - ثم لا نجد في التاريخ أسماء أشخاص يرجع إليهم الفضل في إسلام هذه الأمة العظيمة ؟ ما السر في ذلك ؟ .

لقد تذكرت بالمناسبة قصة جندي مسلم في فتح المدائن عثر على تاج كسرى ، فأخفاه في ثيابه - شأن المال المسروق - و جاء به إلى قائد الجيش الاسلامى سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه ، و قال أيها الأمير : يبدو كأن هذا شئ ثمين ، و أنا أسملك إياه ، لكى تجعله في بيت مال المسلمين و قبل أن يتسلم التاج ، نظر الأمير - و هو من العشرة المبشرة - إلى الرجل بشئ من الدهشة ، و تحدث في نفسه فقال : كيف لم تفسد نية هذا الرجل المسكين البدوى في هذا التاج الثمين ، المرصع الغالى ؟ كيف لم يفكر فيما إذا ذهب به إلى خيمته ، و امتلكه دون أن يسلمه إلينا ، فسأله



الأمير عن اسمه ، فتولى عنه و قال : إن الذي عملت له يعرف اسمي ، و انصرف .

هذه قصة فرد واحد ، وأظن أن الذين كان إسلام التار قاطبة في حسابهم كانوا يتسمون بهذه الميزة ، و أنهم أخفوا أسماءهم . وقد واجهت أنا صعوبة في تحقيق أسماء هؤلاء العظام حينما بحثت في الموضوع أثناء تأليني للجزء الأول من « رجال الفكر و الدعوة في الاسلام » ، (١) و بعد بحث و عنه طويل عثرت على اسمين أحدهما لوزير صالح يدعى بالأمير توزون (٢) الذي كان رئيس الوزراء لملك التار الذي كان يحكم العراق ، كان هذا الوزير رجلا صالحا من العباد و الزهاد ، و ظل يلقى إلى الملك قولاً عن الاسلام و يحببه إليه ، حتى فوجئ أهل بغداد في يوم جمعة أن رأوا الملك التاري السلطان قازان و وزراءه معه متجهين نحو الجامع

-
- (١) يقع الكتاب في أربعة أجزاء ، وقد صدر جزمان منه في اللغة العربية ، نشرتهما دارالقلم في الكويت .
- (٢) يسميه آرنولد وغيره من المؤرخين « نوروزيك »

يحملون بأيديهم السبح ، يقول ابن كثير في البداية و النهاية :
« و نثر الذهب والفضة على رؤس الناس يوم إسلامه
و تسمى بمحمود ، و شهد الجمعة و الخطبة و خرب كنائس
كثيرة و ضرب عليهم الجزية و رد مظالم كثيرة ببغداد وغيرها
من البلاد و ظهرت السبح و الهياكل مع التار ، و الحمد
فه وحده ، (١) .

و المآثرة التاريخية الثاية هي للشيخ جمال الدين ، و قد
انتشر الاسلام بفضل إخلاصه و ورعه في أحد فروع التار
الكبيرة ، الذي عرف بفرع جنطاني الذي كان يحكم البلاد
المتوسطة ، و كان مركزها كاشغر ، و أسست الفصيلة بكاملها ،
و كان من خبره أن الشيخ جمال الدين كان متجهاً مع جماعة إلى
جهة ، و كان التار يكرهون أهل إيران و يمتقرونهم ، و كان
الشيخ إيرانياً ، و صادف ذلك يوم القنص للامير تغلق
تيمور ولى عهد الأسرة الجغتائية ، و قد كانت مناسبة تتوجه
قرية ، و معلوم أن الهائمين بالقنص لهم أوهام و تشاؤمات

(١) البداية و النهاية ج ١٣ - ٢٤٠ .



لاسيما الأمراء وأبناء الملوك ، فلم تزل لهم أوامهم وخرافات يؤمنون بها ، فلما رأى الأمير أن الشيخ جمال الدين قد دخل فى الحمى الذى كان قد خصصه لنفسه ، أمر بأن توثق أيديهم وأرجلهم ويمثلوا بين يديه ، لأنه تشام به و تنخص من أجلهم ، و سألهم فى غضب : كيف جرءوا على دخول هذه الأرض ؛ قالوا إتنا أجنب ، و ما علمنا أنها أرض بمنوعة ، محمية للصيد ، فتورطنا فى الدخول فيها ، و معذرة ! و لما علم أنهم إيرانيون ، قال للشيخ ، و أشار إلى كلبه ، و قال أيكما أشرف ، أنت أم كلبى ؟ تصوروا جلال الموقف و دقته ، و ماذا يكون رد فعله ؟ و لكنه لم يحدث أى تغيير و لا اضطراب فى الشيخ جمال الدين ، إنه أجاب فى هدوء و قال : إنه لا يمكن أن نحكم الآن فى هذا ، فسأله الأمير ، و متى يمكن ذلك ، فقال : إن ذلك يتوقف على على خاتمى ، إذا كانت على الايمان فأنا أشرف و أسعد من الكلب ، أما إذا لم أسعد بحسن الخاتمة فلا شك أن الكلب هو أحسن منى .



أثر هذا الكلام الصريح فى قلب الأمير لأنه كان صادراً
من القلب فوقع فى القلب . ولا شك أن هذا الجواب قد
قد اقترنت به و سبقته دعوات مخلصه . و دموع منيرة ،
و كأنه قد قال بلسان حاله : اللهم إليك أشكو ضعف قوتى
و قلة حيلتى . و أنت تملك أن تمنح كلامى هذا تأثيراً فى
القلب ، و تلك هى لحظة قضاء الله فى إسلام الأمير ، لأنه
إذا سعد بالإسلام سعد به حظ المسلمين ، (١)

وسأل الأمير عن الإسلام و الإيمان ، هنالك عرض
الشيخ على الأمير تغلق نيمور قواعد الإسلام فى غيرة
و حماس ، رق لها قلب الأمير حتى كاد يذوب كما يذوب
الشمع ، وصور له الكفر بصورة مروعة اقتنع معها بضلال
معتقداته و فسادها ، و قال : « لكنى إذا اعتنقت الإسلام

(١) سرد « آرنولد » فى كتابه « الدعوة إلى الإسلام »
هذه الحكاية ، و ذكر أن الشيخ أجاب بقوله :
« لولا أن الله أكرمنا بالإسلام و شرف به قدرنا ،
لكنا أخس من الكلب » .



الآن ، فلن يكون من السهل أن أهدى رعاياي إلى الصراط
المستقيم ، فأمهلى قليلا ، فاذا بلغك أني بويعت بالحكم ، وآلت
إلى ملكة أجدادي ، فعد إلى ، و ذلك أن امبراطورية
جغطاني انقسمت في ذلك الوقت إلى إمارات صغيرة ،
و ظلت على ذلك سنين طويلة حتى نجح تغلق تيمور في
توحيد الامبراطورية كلها تحت سلطانه و جمع كلمتها كما كانت
من قبل

و في هذه الاثناء كان الشيخ جمال الدين قد عاد إلى
بلده حيث مرض مرضه الأخير ، فلما أشرف على الوفاة ،
قال لابنه رشيد الدين : « سيصبح تغلق تيمور يوماً ملكاً
عظيماً ، فلا تنس أن تذهب إليه و تقرئه مني السلام ،
و لا تخش أن تذكره بوعده الذي قطعته لي » و لم يلبث
رشيد الدين إلا سنين قليلة حتى ذهب إلى معسكر الخان ،
و كان قد استرد عرش إمبراطورية آباءه ، تنفيذاً لوصية
أبيه ، و لكنه لم يستطيع أن يظفر بالثول بين يدي الخان
برغم ما بذله من جهود ، و أخيراً لجأ إلى حيلة طريفة ،



فكان يؤذن و يصل على مقربة من فسطاط الخان ، وذات يوم حين كان يؤذن في الصباح الباكر أقلق ذلك الصوت نوم الخان ، و أثار غضبه ، فأمر باحضاره و مثوله بين يديه ، و هناك أدى رشيد الدين رسالة أبيه ، و لم ينس تغلق تيمور وعده ، و قال : « حقا ما زلت أذكر ذلك منذ اعتليت عرش آبائي ، و لكن الشخص الذي قطعت له ذلك الوعد لم يحضر من قبل ، و الآن فأنت على الرحب و السعة ، ثم أقر بالشهادتين ، و أصبح مسلماً منذ ذلك الحين ، و أشرقت شمس الاسلام ، و محت بنورها ظلام الكفر .

ودعا الملك تغلق تيمور رئيس وزرائه ، و قال له : إنني أحمل في صدري سراً منذ زمن ، لقد وقع ما سمعته من الشيخ جمال الدين في قلبي ، و لا يزال له سلطان على ، وقد قررت أن أسلم ، فما رأيك ؟ فقال له الوزير أيها الملك إنني مسلم من زمان ، و كنت أخفي إسلامي ، و قد اهتديت إليه في إحدى رحلاتي إلى إيران ، و دعا الوزراء والأمراء



إلى الملك ، و أسلوا بعد ما علموا بإسلام الملك .
هؤلاء التار لم يكن لهم حظ في العلم ولا في الحضارة ،
و لا شأن لهم بدين سماوى تستسيغه عقولهم ، فلم يكن
بوسع التار أن يقوموا بتدبير هذه المملكة الواسعة الراقية ،
بالعكس من ذلك ، كان هناك مقننون بارعون من المسلمين ،
و نظام الرى ، و جباية الضرائب ، و أحكام القضايا ،
و كان لدى التار قانون محدود للتعزير ، وضعوه على
أساس تجاربهم فى حياة الصحراء المحدودة ، فكانوا فى أشد
حاجة إلى المسلمين من قبل و كان المسلمون من العلماء و خبراء
القانون قد أدوا واجبهم نحو هذه المملكة الواسعة ، إنهم
ساعدوهم فى تدبير شئون المملكة ، و طبعوا فى نفوسهم
توجيهات الاسلام للحياة ، و كفاءته الواسعة فى تنظيم المجتمع
و الدولة ، إنهم رأوا أن مرحلة الايمان و العقيدة التى
كانت تتربق دورها قد تحققت الآن .

وما أن أسلم الملك تغلق تيمور إلا وقد أسرع التتار
فى إيران نحو اعتناق الاسلام ، و تم إسلام الجميع فى عدة

أيام ، وكانت الأسرة التتارية الحاكمة في العراق ، قد سبقتهم إلى الاسلام بمجهود الأمير توزون ، و كانوا يتسابعون في قبول الاسلام ، ويتسابقون في عدد جم يبلغ مئات الآلاف ، و كل ذلك قد تم بفضل مجهودات العلماء ، و الوعاظ ، و الدعاة المخلصين ، و خاصة بالمجهود المخلصة التي بذلها العلماء الربانيون من أهل القلوب ، و تلك حقيقة لا يختلف فيها اثنان ، فان التاريخ شاهد عدل على ما قام به أصحاب القلوب المؤمنة دائماً من القيام بالدعوة و تغيير مصير الأمم في سرية و خفاء ، و استدركوا بذلك ما لقيه المسلمون من هزائم سياسية ، و ما واجهوه من إخفاق في مجال السياسة ، و قلبوا الوضع ظهراً على بطن .

و قد أشار البروفيسور حتى (Hitti) إلى هذه الحقيقة التاريخية بقوله :

« طالما حدث أن « الاسلام الديني » أحرز نجاحاً كبيراً في أخرج ساعات انتكاس « الاسلام السياسي » (١)

History of Arabs P ' 475 . (١)



ولا بد من تعليق على هذا الرأي ، وهو أن المقصود ،
أن الاسلام كدين و رسالة أحرز النجاح ، و استـدرك
ما فات ، حين منى الاسلام ، كقوة حاكمة ممثلا في دولة
تزرعه بالاخفاق و الفشل ، و ليس هنالك « إسلام ديني »
و « إسلام سياسي » ، كما توهم عبارة « حتى » و الاسلام
لا يعرف الفصل بين الدين و السياسة .

و يقول أحد الفضلاء الهولنديين لو كـي كارد

: (Frede Lokke Goard)

« رغم أن الاسلام أصيب بالانحطاط السياسي مرات
كثيرة . إلا أن الاسلام الروحاني ما زال متقدماً نحو
الأمم » (١) .

و هذا المستشرق الشهير (H. A. R. Gibb) التي

ذات مرة خطاباً أمام مجلس جامعة أكسفورد ، فقال :

« طالما شهد تاريخ الاسلام أن الثقافة الاسلامية

قوبلت بمنافسات شديدة ، و لكنها لم تنهزم رغماً من ذلك ،

(١) Islami Taxtation in the Clanic .



ذلك لأن الأسلوب التربوي الروحي (١) وتفكير العلماء الربانيين أسرع إلى دعمها و تأييدها ، ومنحها قوة لم تصمد في وجهها أي طاقة مضادة ، (٢) .

و لا شك فان هؤلاء التتار يسجلون في كتاب العلماء الربانيين ، و إن هؤلاء الآلاف المؤلفة الذين غيروا مجرى التاريخ حينما يبعثون يوم القيامة ، يعدون في حسابهم ، أولئك الذين كانوا موضع نقد لاذع في السنين الأخيرة من غير هوادة و إنصاف أو استثناء ، و لكنهم ينطبق عليهم قول الشاعر العربي القديم (٣) .

(١) يعنى به نظام التربية الروحية و التزكية و الاحسان اللذين يوجد أصلهما في القرآن و السنة ، و قد سمي في العهد الأخير « بالتصوف » و طرأت عليه من طواري من الفلسفة و البدع ما يعلمه المتبصرون ، اقرأ للتفصيل كتاب المؤلف « ربانية لا رهبانية »

Islamic Culture 1942 P, 265 . (٢)

(٣) هو الشاعر الاسلامى الأموى الحطيئة بن جرول بن أوس (توفى نحو ٥٤٥) .

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لَايِبِكُمْ

من اللوم ، أوسدوا المكان الذى سدوا

وبالمناسبة ، من أشد حاجات المجتمع الاسلامى الدائمة
وجود ربانيين صادقين ، متبعين لا مبتدعين ، راسخين فى
العلم والدين ، يربطون القلوب بالله - عند النكسة التى تصاب
بها الحكومات الاسلامية ، أو فتنة المادة و الشهوات ،
و التنافس فى البذخ و الثراء التى تمنى بها المجتمعات المسلمة -
ربطاً وثيقاً جديداً ، و يبعثون فى النفوس التسامى عن
الأغراض الخسيسة ، و التكالب على حطام الدنيا ، و يكرهون
إليها الحياة الذليلة ، و المتعة الرخيصة ، و الخضوع المستكين
للسلطات و الثروات ، و بيع الضمائر و الذمم ، و المساومة
فى الشعوب و الأمم ، و يهيئون إليها الاستماتة فى سبيل
العقيدة و المبدأ ، و الشهادة فى سبيل الله ، و يحاربون
اليأس القاتل ، و يحددون الأمل فى روح الله و نصره ،
و يشتغلون بالدعوة إلى الله و تربية النفوس ، و إمداد
المجتمع المتداعى المنهار . برجال أ كفاء ، أقوياء ، أمناء ،

يحفظون ثغور الاسلام و يرابطون في سبيل الله ، و يمثلون في بيوتهم و مجتمعاتهم دور الامام الحسن البصري في العصر الأموي ، و دور الحافظ ابن الجوزي ، و حجة الاسلام الغزالي ، و الامام عبد القادر الجيلي في العصر العباسي .

إن وجود هؤلاء الربانيين حاجة المجتمع الاسلامي في كل عصر ومصر ، هم الذين ينجحون حين تتحقق الحكومات ، و ينتصرون حين تنكسر الرايات ، و غيابهم و انقراضهم - كما وقع مع الأسف في بعض الأقطار الاسلامية التي أعقد الله عليها الخيرات ووسع لها في الرزق - عوز لا يسد و خسارة لا تعوض ، و خطر على المجتمع الاسلامي والدعوة الاسلامية ، لا يزال بالمنظمات السياسية ، و الأساليب العلمية ، و الوسائل الدعائية ، و مجرد الهتافات العالية الفارغة . ضربت لكم مثلا بالقرن الذي بدأ بأحداث هائلة كانت تهدد بقاء الاسلام ، لكن المسلمين لم يخسروا الهمة العالية ، و العزم الأكيد ، إذا كانوا قد خسروا الدولة و المملكة ، و تلك حقيقة ثابتة ، فان الدولة يمكن أن يخسرها المسلمون

عشر مرات ، و لكنها تستطيع أن تعود في المرة الحادية عشرة ، أما المهمة إذا خسرها صاحبها مرة واحدة فانها لا تعود في أغلب الأحوال ..

ظل دعاة الاسلام مشغولين بوظيفتهم في صمت من غير دعاية وليت شعري هل كان المسلمون قد أسسوا حينذاك جمعية لدعوة التتر إلى الاسلام ، أو نشروا إعلاناً أن التتار إذا أسلموا أفاد ذلك عودة المسلمين إلى الحكم المفقود والحصول على السلطة ؟ المرجح أن شيئاً من ذلك لم يوجد ! ولكنني أعلم أن هؤلاء الدعاة قاموا بواجب الدعوة في هذه الأمة التتارية من غير أن يطلع عليه الناس ، و ما هي إلا مدة قليلة إذ فوجئى العالم باسلام الأمة التتارية جمعا .

إننى مثلت لكم بالقرن السابع الهجرى و الثالث عشر الميلادى الذى بدأ بأحداث مروعة أفزعت قلوب المسلمين ، ولولا أنهم كانوا بملكون قوة العقيدة لهجمت عليهم ردة فكرية و حضارية ، إن لم تكن ردة إيمانية و لكن لم تحدث هناك ردة حضارية و لا فكرية فضلا عن الردة الإيمانية .



و أ ضرب لكم مثالا آخر للقرن العاشر الهجري
(القرن السادس عشر الميلادي) و لا أتوغل بالمناسبة في
تاريخ العالم الاسلامي الواسع ، بل أتحدث عن الهند التي
أظل عليها منتصف القرن العاشر الهجري في ظروف قاسية
كانت تهدد حرمان الهند قيادة الاسلام و توجيهاته ، بل
كادت تحرم فضل الاسلام و نعمته ، كان يبدو أن ذلك يتم
في ظرف أيام ، اقرأوا تفاصيل ذلك في كتب التاريخ (١)
وقد وجدت آنذاك في العالم الاسلامي مملكتان كبيرتان
ملكة العثمانيين في آسيا الصغرى و الشرق العربي ، و ملكة
المغول في شبه القارة الهندية ، و كانت المملاكة الصفوية في
إيران على الدرجة الثالثة ، وقد حدث هنا في الهند أن عدداً
من عباقرة العلماء و المثقفين - يتميز من بينهم أبو الفضل
وفيضى عن غيرهم - انضموا إلى حركة كان يقودها إمبراطور
عظيم ذو عزم أكيد و ذكاء نادر ، و غزو و انتصار ،

(١) مثلاً - رجال الفكر و الدعوة « المجلد الثالث »

للؤلؤف ، الذي سيصدر قريباً إن شاء الله .

و كانت تهدف هذه الحركة إلى تغيير وجهة الهند من الاسلام إلى دين جديد اخترعه الامبراطور « أكبر » و سماه « الدين الالهي » و « إلى وحدة الأديان » (١) التي كانت الكفة فيها راجحة إلى جانب آخر بصفة دائمة (٢) .

- (١) يعني أن الأديان كلها سواء ، لا فضل لأحد على آخر ، و كلها طرق موصلة إلى الله ، و إن اختلفت في التفاصيل و الشعارات ، و سمى الله بأسماء مختلفة ، و لا تزال الدعوة قائمة في الهند يقودها بعض الزعماء الهندوس و العلمايون ، و هي فتنة كبيرة يقاومها العلماء و مسلمون غيارى على الاسلام الذين يؤمنون : « إن الدين عند الله الاسلام » و قوله تعالى : « و من يبتغ غير الاسلام ديناً فلم يقبل منه » .
- (٢) إن هذه الحركة التي أسست على التسامح و الصلح الكامل لم تكن عادلة في حق الاسلام فرجحت فيها طبعاً كفة الديانة و الفرقة التي كانت ذات تأثير



كان ذلك ملتقى خطيراً للقوة المادية و الذكاء النادر ،
أو كانت مؤامرة ضد الاسلام تتولاها ملكة مطلقة، وعقلية
منحرفة ، يتعذر نظيرها في التاريخ ، و كان الناس يظنون
جهاراً أن القرن العاشر أو شك على النهاية ، والقرن الحادي
عشر (الذي يتدى به الألف الثاني من التقويم الهجري)
على الأبواب ، و إن ألف سنة ، مدة كبيرة لأى دين من
الاديان ، و قد قام رجال من العلماء و المثقفين ، بمن
لم يكونوا على جانب كبير من العلم والورع وكانوا يحرسون
على المناصب فوفروا لذلك دلائل في ضوء تاريخ الديانات
و أثبتوا أن ديناً لم يدم أكثر من هذه المدة ، و كلما مر
عليه ألف سنة حل محله دين جديد ، و قيادة فكرية

❖ في البلاط و يميل إليها الامبراطور ، فقد اعترف
مورخو « تاريخ الهند بايجازه » مورليند ، و ، ا ،
س ، جترجي : بأن قوانين البلاط الأكبرى كانت
أقرب إلى الديانة الهندوكية منها إلى دين الاسلام ،
و أكثر حماية لها .

جديدة ، وقالوا : إن الدين العربي قد أدى رسالته ، وقضى حاجته ، ومر على نبوة محمد ﷺ ألف سنة ، والجيل الجديد بحاجة إلى دستور جديد وشريعة جديدة ، و ما أكثرت الفتن التي تنشأ من فلسفات تتحرر عن قيود الدين و الأخلاق . تصوروا هذا الخطر المتفاقم ، لقد كان حامل لواء هذه الحركة و رمزها ذلك الامبراطور الذي كانت الهند كلها ترتجف أمام سيفه ، الذي كان قد ذل كل عقبة كأداة ، و ما كان يعرف للهزيمة و الفشل معنى ، كان دم الشباب و القوة يجري في عروقه و سرايينه ، و يقتنى آثار آباءه و أجداده في حل المشكلات ، والطموح إلى المعالي ، وكان يجوار هذا الامبراطور القوى ، عالم متفنن في علوم كثيرة ، وله باع طويل في الآداب والكتابة ، والانشاء والتأليف ، خلف وراءه كتابات تشهد بعبقريته ، و فرط ذكائه ، هو أبو الفضل علامي (١) أحد أركان الدولة ، وكبار الوزراء . فاذا كان ١٩ حلت أواخر القرن العاشر تحمل في طيها

(١) لقب كان يلقب به كبار علماء البلاط .

دلائل ثورة على الاسلام ، و تنبى أن الاسلام لم يعد له قرار فى هذه البلاد ، ويكاد يودع أهلها ، الأمر الذى يعنى أن السلطة الدينية والروحية تكاد تنتقل من أهلها إلى طاقات وفلسفات جديدة ، مع انتقال السلطة السياسية إلى غير أهلها ، إن هذه الثورة كادت تقضى على تلك الجهود التى بذلها الغزاة المغامرون لفتح هذه البلاد منذ عدة قرون ، و فى جانب آخر كانت تضع ثمار ذلك الجهاد الذى قام به الشيخ معين الدين الجشتى ، و خلفاؤه المخلصون ، أولئك الذين وجوهوا من داخل زواياهم إلى أرواح سعيدة ، دروس الانسانية والحب والمساواة والعدالة الاجتماعية ، و أشرفوا على الحكومة الحاضرة دينياً و خلقياً من خارج زواياهم ، و هبوا للدولة و المجتمع أفراداً صالحين أقوياء أمناء ، ورعين محبين للانسانية ، و نفخوا فى حركات البلاد العلمية و التربوية روحاً جديدة . (١)

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب « نزهة الخواطر » للعلامة السيد عبد الحى الحسنى رحمه الله ، و « المسلمون فى الهند » للمؤلف ،

ثم ماذا حدث ؟ لقد طلع نجم من زاوية الايمان
و الاخلاص ، و العلم و الحكمة ، التي ظلت متدققة بالحياة
و النشاط على الدوام ، إنه لم يطلع من أفق مادي أو سياسي
و قد عرف باسم الشيخ أحمد السرهندي مجدد الألف الثاني
(٩٧١ - ١٠٣٤ هـ) . ذلك الرجل العظيم الذي تحدث
عنه محمد إقبال الشاعر الاسلامي فقال ، ما معناه :

« ذلك الرجل الكبير الذي نهض لصيانة تراث الدين ،
الذي نهبه الله على الخطر المحقق بالأمة في أوانه ، ذلك
العصامي الذي لم يحن رأسه أمام الملك جهانكير ،
و نفخ في الأحرار روحاً وثابة من الايمان والحنان » .

و لمقاومة تلك المؤامرة ضد الاسلام التي دبرها عباقرة
ذلك العصر ، يقوم رجل فقير في إحدى زوايا « سرهند » ،
و يعتزم أن ذلك لا يكون ، إنه تسامل نفسه ، فقال لماذا
يحرم المسلمون في هذه البلاد أن يعيشوا أحراراً أعزاء ،
متمسكين بشعائرهم الدينية ، ولماذا يضيق عليهم وحدهم مجال

الحياة ؟ ؟



فماذا كانت النتيجة؟ لما بدأ القرن الحادى عشر الهجرى رأى العالم أن الأوضاع تغيرت ، و أن مستقبل الاسلام فى هذه البلاد أصبح مضموناً إلى ما بعده بقرون ، قام هذا الرجل العظيم من سرهند لدحض الأباطيل والمغالطات العلمية و الاشرافية التى كانت متجهة إلى إنكار حاجة البشرية إلى النبوة و الأنبياء و خلود الرسالة المحمدية وإن الشريعة دائمة لم تتسخ ، و المسلمون مكلفون بها فى كل مكان و زمان ، و السنة قائمة لم تزل ، و سعادة المسلمين منوطة بالتمسك بها ، و لا بديل عنها ، و بذلك أعاد ثقة كثير من الذين اضطربت عقائدهم بالشرعية الاسلامية . و رد إعتبارها (١) .

لم يحاول تنظيم قوة ضد الامبراطور « أكبر » ، لقد تفتن بدراسته التاريخية ، و بصيرته القرآنية ، أنه سيمنى بالاخفاق الذريع ، إذا أبدى خصومه له ، و تمثل أمامه كمنافس ، فالدولة قوية فتية لم يتسرب إليها الوهن ، ولم يسر

(١) من أراد التفصيل فليراجع « رجال الفكر و الدعوة »
للوّلف ج ٣ ، المائل للطبع (الباب الخامس) ،



إليها الهرم ، و سوف تصد في وجهه الطرق ، فينبغي له أن يدعو الله ، و يجمع حوله مخلصين أكفاء ، و يتناوهم بالتريبة الشاملة التي تنجو بهم من مزالق المال والحكم ، و تجعلهم بعيدى النظر ، لا يطمحون إلى الجاه و المنزلة ، و الزلفى عند الحاكم ، يصلح بهم الأوضاع الفاسدة ، و يحول بهم اتجاه الدولة و المجتمع ،

وحدث بامبراطور و أكبر ، حدث الموت ، و خلفه ابنه جهانكير ، و لم يكن معانداً للإسلام ، و لم يكن راضياً بكثير من تصرفات أبيه الراجعة ، و سياسته المناوئة للإسلام و كان حوله رجال من العنصر الكريم ، و أهل الغيرة على الإسلام . فبدأ يرأسل هؤلاء الأمراء ، و قادة الجيش ، و بطانة الملك ، يثير فيهم الغيرة الإسلامية ، و يشعل شرارة الايمان الكامنة في نفوسهم ، و يذكرهم بمسئوليتهم نحو الإسلام الذى يمر بمرحلة خطيرة فى الوقت الحاضر ، حتى يقوموا بدورهم ، و ذلك كله بطريقة عليية فى أسلوب أدبى قوى يأخذ بمجامع القلوب ، و بثقة من القلب و يقين منه ،

و توجع للوضع الاسلامي المحزن ، يفتت الكبد و يثير
الأحزان .

و هؤلاء الأمراء تطول قائمة أسمائهم . و يجدر بالذكر
منهم عبـد الرحيم بنان خانان ، و الأمير مرتضى خان
(سيد فريد) فكانت النتيجة أن الوضع تغير في ظرف
١٥ - ٢٠ عاماً ، حتى انتقل مركز الثقل . في العلوم الدينية
إلى الهند ، و القيادة الفكرية و الروحية ، و انتهت إليها
رئاسة التدريس ، والنشر لعلم الحديث ، و التربية الروحية ،
و ظهر تفوقها حتى في اللغة العربية و آدابها ، إن المكانة
التي حظيت بها الهند في خدمة العلوم الاسلامية ، و نبوغ
رجال العلم و الدين الكبار فيها ، إنما يرجع الفضل في ذلك
إلى هذه الجهود الخاصة التي بذلها الامام السرهندي ، و ظلت
مصائب العلم و التحقيق تتوقد في أرجاء هذه البلاد .

و ظهر بعد مدة الامام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي
(١١١٤ - ١١٧٦) الذي أسس علم كلام جديد ، و قام
بشرح و إيضاح معنى نظام الخلافة ، و عرض مخطط الحكم

الاسلامى الصحيح الذى لم يسبق له نظير فيما أظن (١) مع ما بذل من محاولات لانقاذ الحكومة الاسلامية فى الهند - التى لم يكن لها بديل فى ذلك الوقت - من الوضع المهار ، وبعث روحاً جديدة فى جسمها ، ذلك أن سقوطها وضعفها كان يهدد بخطر الاضطراب الكبير خلقياً و سياسياً (٢) .

و قام أبناؤه الموقنون الأفاضل (و فى مقدمتهم الامام عبد العزيز بن ولى الله رحمه الله) بنشر علوم الكتاب و السنة فى هذه البلاد ، وجد منه إقبال عام على دراسة القرآن و تفهم معانيه ، و انبثقت منه حركة قوية لتدريس

(١) و الدليل على ذلك كتابه الفريد « إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء » بالفارسية .

(٢) لمزيد التفصيل راجع « رسائله السياسية » التى كتبها إلى أمراء المسلمين وقادتهم ، وقد جمعها البروفيسور خليق أحمد نظامى رئيس قسم التاريخ فى جامعة عليكرة الاسلامية فى مجموعة ، و قدم لها و علق عليها .

الصحيح الستة ، و العناية بالحديث الشريف ، ونشره و نقله ،
إلى اللغة الأردنية ، و انطلقت موجة عارمة لاصلاح العقائد
و الأعمال ، و معارضة التقاليد الهندوسية التي تسربت إلى
المجتمع الاسلامى الهندى .

كانت حركة الاصلاح و الجهاد ، و إحياء السنة ،
و الخلافة الكبرى التي قادها العالمان الشهيوان الامام أحمد
ابن عرفان الشهيد (١٢٤٦ هـ) و العلامة محمد إسماعيل
ابن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى ، الشهيد (١٢٤٦ هـ)
فى شبه القارة الهندية ، حلقة متينة ذهبية لهذه السلسلة الذهبية
و قد وقعت هذه الحركة الجليلة لتقديم نماذج من السيرة
الاسلامية ، و الحية الدينية ، و تربية الانسان و صناعة
الرجال ، جددت ذكرى القرون الأولى . إن هذه الجماعة
تابعت جهودها على جبهة الدعوة و الاصلاح الواسعة التي
يتعذر نظيرها فى تاريخ العالم الاسلامى سابقاً (١) .

(١) راجع للتفصيل « حركة الهند الاسلامية الأولى »

للأستاذ المرحوم مسعود الندوى ، و كتاب « الامام ★

ثم جاء عهد المدارس الدينية ، و تأسست مدرسة

دار العلوم ديوبند ، و مدرسة مظاهر العلوم بهارنפור ،
و دار العلوم ندوة العلماء في لكهنؤ ، وغيرها من المدارس
الاسلامية في أنحاء البلاد التي قامت على أساس الكتاب
و السنة ، و نشر تعاليمها (١) وقد تم بجهود مؤسسى هذه
المدارس الكبار و أفاضلها المخلصين ، و الراضين في العالم
إصلاح العقائد و الأعمال على أوسع نطاق ، و نشأ ذوق
دينى ، و غيره إسلامية في الناس ، وأسهم منهم عدد وجيه
في حركة تحرير البلاد ، و النشاطات العلمية و الأدبية ، و لم تحدث
تلك الفجوة الواسعة العميقة بين جماهير هذه البلاد ، و الطبقة

★ الذى لم يوف حقه من الانصاف و الاعتراف ،

بقلم المؤلف .

(١) كالمدارس السلفية ، و المعاهد التي أنشأها إخواننا

أهل الحديث في أنحاء البلاد ، و للاطلاع على تفاصيل

هذه المدارس ، راجع كتاب « المسلمون في الهند »

و هو استعراض تاريخى موجز .

المثقة و بين علماء الدين ، كما حدثت في كثير من الأقطار
الاسلامية حتى آلت إلى الثورة والعداء في بعض الأحيان ،
ولم يأخذ المجتمع الاسلامي في هذه البلاد بمبدأ « فصل الدين
عن السياسة » كما أخذت به بعض المجتمعات الاسلامية في بلاد
أخرى ، ولم تزل و لا تزال الصلات قوية بين الشعب
و العلماء و لا يزال للدين و ممثليه سلطان على الدهماء .

وبفضل جهود هؤلاء العلماء العلمية تمتعت الهند بمركزية
دينية ، حتى آتى عليها حين من الدهر ، إذا أراد أحد في
اليمين في أقصى الجنوب ، ومراكش في أقصى الشمال ، وغيرهما
من الدول الاسلامية ، أن يصل إلى درجة اختصاص في
الحديث الشريف ويتخرج فيه ، أم الهند ، وكذلك من أراد
منهم أن يكمل تربيته الدينية ، و التزكية النفسية . ويتدرج
إلى مدارج السمو الروحي ، و الصفاء النفسى ، توجه إلى
الهند ، ظهر الشيخ خالد الرومى في الجزء الشمالى للعراق والشام
الذى كان ضمن تركيا ، و آتم دراسته الدينية في « شهرزور »
و « دمشق » ، ولكنه لما أراد أن يطفى ظمأه الروحي ،

و يقوى إيمانه بأوامر الله ، و حقائقه الغيبية مثل الإيمان بالبداهيات ، و نتائج العلوم الرياضية ، قصد الهند و وصل من بلده «شهرزور» إلى دهلي رأساً ، (١) و نزل في زاوية الشيخ غلام علي (١٢٤٠م) و لازمه حتى أذن له بعد تكميل دروسه الروحية بالعودة إلى بلده و أفاد الخلق بعلمه و أخلاقه ، و الحقائق الدينية في بلدان العراق و الشام و تركيا ، و نفخ فيها روحاً جديدة لا تزال لها آثارها .

إن حديثي هذا و إن كان محدوداً إلى ذكر حركات الهند الاصلاحية و التجديدية إلا أنه لا بد بالمناسبة من الاشارة إلى بعض الحركات الدينية الكبيرة التي قامت خارج الهند ، و خاصة حركة تطهير العقائد و دعوة الدين الخالص الكبرى ، التي قامت في مركز الاسلام (الجزيرة العربية)

(١) ليرجع للتفصيل إلى رسالة « سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندی » للعلامة ابن عابد بن مجموعة رسائل ابن عابد بن .

قادها الامام محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ هـ) (١٢٠٦ م)
الذي عاصر شيخ الاسلام احمد بن عبد الرحيم الدهلوي في
الهند (١) ، وقد كسبت دعوته هذه - نظراً لاسباب
تاريخية و سياسية خاصة - نجاحاً لم يلقه كثير من الدعاة
والمصلحين ، فقد نشأ نتيجة لها جبل مستقل ، يمتلكه واسمة ،
ومدرسة فكرية بلغ تأثيرها الى انحاء بعيدة .

و في نفس هذا العصر ولد في اليمن العلامة محمد بن
علي الشوكاني (١١٧٢ - ١٢٥٠ هـ) وفي « عسير » احمد
بن عبد الله بن إدريس الحسني مؤسس السلسلة الادريسية ،

(١) شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قرين شيخ
الاسلام احمد بن عبد الرحيم في السن تقريباً ، إذ
أن الشيخ الدهلوي ولد في (١١١٤ هـ) و الشيخ
عبد الوهاب من مواليد (١١١٥ هـ) و للاطلاع
على أحوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وترجمة
حياته ، راجع كتاب « محمد بن عبد الوهاب المصلح
المفترى عليه » للاستاذ المرحوم مسعود الندوي .



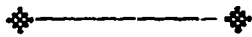
وفي ليبيا السيد محمد بن علي السنوسي (١٢٠٦-١٩٧٦م) (١) الذين قاموا في بلادهم بحركة إصلاح العقائد و التقاليد ، ونشر الكتاب والسنة . والتربية على الجهاد والسيرة النموذجية ، و يحاول مستشرقو الغرب إثبات أن هؤلاء المصلحين كلهم من غرس دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلاميذه مباشرة أو بواسطة ، و لكن القضية ليست كلية مطلقة ، إن العقلية الغربية عاجزة عن تفهم هذه الحقيقة ، و هي أن دراسة

(١) المجاهد الشهير والمصلح الكبير سيدي أحمد الشريف السنوسي (الامام السنوسي) كان حفيد الشيخ محمد ابن علي السنوسي الذي أبلى في حرب طرابلس وبرقة ضد الطليان بلاء حسناً ، و ظل يقاوم إلى مدة ١٣ عاماً هذه القوى الكبرى بنجاح كبير و قوة صامدة . لقد جمع بين السيف والمصحف في وقت واحد ، كان يعتبر من كبار المرابطين في عصره ، توفي بالمدينة المنورة في عام (١٣٥١-١٩٣٣م) و للاطلاع على التفاصيل راجع كتاب « حاضر العالم الاسلامي » للأمير شكيب أرسلان : ج ٢ .



الكتاب و السنة الواعية المخلصه تفتق العقول و القرائح ،
 و تزبل الغشاوة عن العيون ، و تلهب جذوة الايمان و الحماس ،
 فتنهض في كل فترة تاريخية - قد تطول و قد تقصر -
 قادة و أممه ، و مصلحون و مرشدون ، يثورون على الأوضاع
 الفاسدة ، و يعلنون الحرب على العقائد الزائفة و التقاليد
 الجاهلية ، و ستدوم هذه السلسلة إلى يوم القيامة .

و برز بعد ذلك بقليل إلى ساحة العمل و الدعوة العلامة
 السيد جمال الدين الأفغاني (١٣١٤م - ١٨٩٧م) فنفخ
 في صور الغيرة الاسلامية و الجامعة الاسلامية الذي ارتج
 به الوطن الاسلامي الكبير . من مصر إلى الشام و تركيا ،
 لقد أسهم هو و تلميذه النجيب المفتي محمد عبده المصري
 (١٣٢٣م - ١٩٠٥م) في إيقاظ الوعي الفكري لدى
 الشباب المسلم القلق الذكي إسهاماً كبيراً (١) .



(١) منذ سنوات عديده ماضية أصبحت كلتا الشخصيتين
 (الأستاذ و التلميذ) موضوع البحث و النقد ، و نشرت

أما ما يتصل بالقرن الرابع عشر الهجري فإنه من وجهة نظر المسلمين قرن الانتصارات و الاخفاقات ، و الأخطاء و تداركها . و قرن سذاجة الشعوب الاسلامية واغترارها ، و قرن الوعي و اليقظة السياسية ، في وقت واحد و قيام دول و حكومات مسلمة كثيرة ، و قرن حركات إسلامية قوية متعددة ، فان هذا القرن يجمع من تنوع الحوادث و الوقائع و تناقضها ما يتعذر نظيره في القرون الماضية .

✿ الجرائد و المجلات العربية مقالات ، و ألقى محاضرات في الندوات العلمية تقلل من عظمة الشخصيتين ولم تعدا كما كانت قبل اليوم بربع قرن .
و لكن الواقع الذي لا ينكر أنهما مثلاً دوراً له قيمته في إعادة ثقة الشباب المسلم بصلاحيته الاسلام في العصر الحاضر و حيويته ، و من أراد التفصيل فليراجع كتاب المؤلف ، « الصراع بين الفكرة الاسلامية و الفكرة الغربية في الأقطار الاسلامية » .



لما ابتدأ القرن الرابع عشر كانت راية الخلافة العثمانية خفاقة على ممتلكاتها ، و كانت ظلال الخلافة الاسلامية تظل المسلمين ، و كان السلطان عبد الحميد خان الثاني (١٣٢٧ هـ - ١٢٩١ هـ - ١٩٠٩ - ١٨٧٦ م) على سرير الخلافة ، الذي ظل هدفاً للنقد و الطعن إلى أواسط القرن العشرين ، و إن المؤلفين الغربيين جندوا أقلامهم لتشويه وجهه ، و لكن البحوث و الدراسات التاريخية التي نشرتها بعض المجلات العربية و التركية الموقرة حديثاً ، أثبتت في ضوء مذكراته أنه كان حاكماً إسلامياً ذا حمية و غيره إسلامية كبيرة - رغماً من بعض خصائصه الطبيعية و مواضع الضعف التي قد تكون خصيصة للمملكة الموروثة و رد فعل للمعارضات الداخلية و الخارجية و المؤتمرات التي دبرت حوله من كل جانب - لم تكن تستطيع القوى الغربية في عهده أن تنجح في توزيع تركيا كمال سائب و لم يكن احتلال اليهود في أي جزء من فلسطين ممكناً ، و هو الذي رفض بازدياد



كل ما تقدم به الوفد اليهودي الممتاز إليه من مساومات
و رشى ، و قال لهم ، وقد حمل حفنة من تراب الأرض :
أتم تريدون مني بيت المقدس ، و أنا لن أرضى باعطائكم
مثل هذه الحفنة من تراب فلسطين (١) و هو الذي نفخ
في جسم الخلافة الاسلامية روحاً جديدة و في العالم الاسلامي
حماساً جديداً للوحدة الاسلامية و « الجامعة الاسلامية » .

إن الدولة العثمانية التي كانت تتشرف بتولى الحرمين
الشريفين و شرف الخلافة الاسلامية كانت حصاراً حديدياً
للمقدسات الاسلامية و الدول العربية و منبع قوة و عزة للأمة
الاسلامية ، أينما كانت ، رغم ضعفها و الفتن الداخلية و الخارجية
و المؤامرات المروعة التي كانت تحيط بها ، فلم تكن هذه
المقدسات و الدول العربية - التي كانت ترتبط بها قلوب
المسلمين و شرفهم - لكي توزع كمال اليتيم ، إن الدولة العثمانية

(١) حدثني بذلك سماحة المفتي الأكبر الحاج السيد محمد
أمين الحسيني رحمه الله عدة مرات ، و هو من
أوثق رواة هذا الموضوع .



كانت تمتد و تسع في بداية هذا القرن إلى اليمن و عسير شرقاً ، و إلى أدرنة و ألبانيا في أوروبا ، و إلى طرابلس و تونس و فزان في إفريقيا غرباً ، و إلى أسوان و مصر و برقة جنوباً ، و إلى بلغاريا و دويلات بلقان ، طرابزون و أدريناوبل شمالاً ، و كانت الدولة العثمانية تتضمن معظم أجزاء آسيا الصغرى كالشام (و ضمنها كانت فلسطين الحالية و لبنان و الأردن) و مصر ، و الجزيرة العربية و العراق و قبرص و كانت أوروبا لا تزال تحسب « للرجل المريض » (١) حساباً خاصاً .

و لكن المسلمين لم يقدرُوا هذه النعمة ، التي كان الله سبحانه قد أنعم بها عليهم في صورة الخلافة و إمبراطورية مسلمة واسعة ، إن عزل السلطان عبد الحميد خان في عام ١٩٠٩م لم يكن حادثاً ذا شأن يغير مجرى التاريخ ، و يمكن أن يكون ذلك نتيجة الأوضاع السياسية في ذلك الوقت أو نتيجة

(١) إن المؤلفين و السياسيين الأوربيين يسمون المملكة التركية و الأمة التركية بالرجل المريض (Sick Man)

المؤامرات و الدسائس ضد السلطان ، وقد تابع على عرش
الخلافة بعده السلطان رشاد و السلطان وحيد الدين خان
والسلطان عبد المجيد ولكن الحادث المؤلم الذى نكب به العالم
الاسلامى كله وأهين ، والذى خسر من أجله المسلمون بيت
المقدس ، هو احتلال الاستعمار الغربى فى الدول الغربية
كصر سورية الطبيعية الكبرى و العراق ، و الجزء الشمالى
لافريقيا إما مباشرة أو بواسطة ، و يبدو أن مدة هذا
العقاب (خاصة فيما يتعلق بالدول العربية فى آسيا الغربية)
لم تنته بعد ، و قد حمل العرب السلاح على الدولة العثمانية
لما وقعوا فريسة مؤامرة الأقلية المسيحية الداهية التى كانت
تقطن فى الدول العربية ورتقوا بمواعيد الحلفاء ، و التخاذل ،
وسحروا بسحر القومية العربية إبان الحرب الكونية الأولى فى
عام ١٩١٤م ، و قد قاد الشريف حسين ، الثورة ضد الأتراك
فى ١٠ يونيو ١٩١٦ م ، و تحررت الشام و فلسطين من
سلطة الأتراك كنتيجة لها فى عام ١٩١٧م و تمت السلطة
البريطانية على مصر ، و احتل الانجليز بيت المقدس فى



١٩ / ديسمبر ١٩١٧ م ، و في أول أكتوبر لعام ١٩١٨ م
دخل الأمير فيصل نجل شريف حسين والجنرال النبي متصرفين
في دمشق ، واتجه الجنرال الفرنسي غورو إلى قبر فاتح بيت
المقدس و مفخرة الاسلام السلطان صلاح الدين الأيوبي
(رحمه الله) ورفضه قائلاً : لقد انتصرنا اليوم يا صلاح
الدين و دخلنا عقر دارك ، فالى متى تبقى نائماً ؟ و مع
نهاية شهر أكتوبر ١٩١٨ م كانت الجزيرة العربية و الشام
و لبنان و العراق و دول العرب كلها قد خرجت من أيدي
الأتراك و تم عليها تسلط الحلفاء الغربيين .

لقد كان العالم الاسلامي كله قلقاً بهذا الوضع والمسلمون
مهانين ، ولكن أثر هذه التكبئة على مسلمي الهند ، كان أعمق
وأقوى من سائر المسلمين في أنحاء العالم وتظاهروا باضطرابهم
القلبي والفكري ، في نفس هذا الوقت قامت حركة الخلافة في
الهند (التي تعتبر كبرى حركة دينية وسياسية في هذا القرن)
وهزت الهند كلها بقيادة العلماء المسلمين وقادتهم كان في مقدمتهم
و على رأسهم الشيخ عبد الباري الفرنجي محلي ، وشيخ الهند



مولانا محمود حسن الديوبندي ، ومولانا أبو الكلام آزاد ،
 والزعيم مولانا محمد علي جوهر ، وأخوه مولانا شوكت علي
 و مولانا ظفر علي خان وغيرهم من العلماء و القادة الذين
 يندر نظيرهم في العالم الاسلامي كله في قوة الشخصية والغيرة
 الاسلامية ، و الحماس الخطابي ، و بهذه المناسبة سالت
 قلوب المسلمين دماً ، و تفجر شعورهم الملى كالبركان ، إن
 هذه الحركة العملاقة أنشأت في الهند كلها- في المسلمين وغيرهم -
 وعياً سياسياً و كراهية شديدة للسلطة الغربية و الحضارة
 الغربية ، حتى إن الزعيم غاندي أيد هذه الحركة تأييداً كلياً ،
 و قام مع زعمائها بجولات واسعة على مستوى عموم الهند .
 و لكن لما أعلن مصطفى كمال باشا (كمال أتاتورك)
 في ٣ / مارس ١٩٢٤م نهاية الخلافة مادت بالمسلمين الأرض
 و أظلمت عليهم الدنيا ، و في هذه المناسبة بالذات قال
 الشاعر محمد إقبال ما معناه .

« لقد شق التركي الجاهل رداء خلعة الخلافة ، ما أشد
 المسلم سداجة و عدوه دهاماً » .

كان هذا العصر مدهشاً مؤمناً للعالم الاسلامى ،
و كان عمائلا فى شئى كثير بالنصف الاول من القرن السابع
الهجرى الذى قضى فيه التتار على السلطة الاسلامية بالهجوم
على مدن العالم الاسلامى الرئيسية المخصصة ثم باحتلالهم فيها ،
و أبدلوا عزة المسلمين بالذل و العار ، و لكن ذلك لم يكن
إلا غارة عسكرية اشعب شبه متوحش لم يصد فى وجهه
العالم الاسلامى المتمدن المترهل ، و لم تكن ترافقه فلسفة
فكرية ، و حضارة جديدة و أفكار و قيم جديدة ، و لكن
غارة الأمم الغربية و بلدانها - التى تمت فى الثلث الاول للقرن
الرابع عشر الهجرى و أوائل القرن العشرين الميلادى - اختلفت
عنها كلياً فقد رافقتها فلسفات جديدة ، و نظام جديد للتعليم
و التربية ، و أفكار و قيم جديدة ، و جيش هائل جديد
للالحاد و التشكيك و مذهب جديد للمادية .

و بما زاد الطين بلة أن الثورة البلشفية حدثت فى
مارس ١٩١٧ م . التى لم تكن تتناول التاريخ و الجغرافية
و الخريطة السياسية بالتغيير و التحريف فقط ، و لم تكن

مقصورة في مجال الاقتصاد والسياسة فحسب إنما كانت تهتم
 أسس العقيدة و العمل و الأصول و المبادئ و الأخلاق
 و المجتمع ، بل أساس الحياة الانسانية و الشعور الانساني
 بأسره ، لكي تقيم على ألقاضه بناءً جديداً ، وكانت تهدف
 الاسلام و المسلمين بأضرارها و ضرباتها أكثر من أى شئ ،
 أولئك المسلمين الذين كانوا حاملي دين إيجابي واضح و خاتم
 للاديان كلها ، و الذين كان من بين واجباتهم الدينية « الحسبة
 على المجتمع البشرى » ومع الأسف لم يكن هناك من يشعر
 بهذا الخطر الدائم في وقته و يقاومه إلا قليلا ، إن المسلمين
 لم يثبتوا فراستهم الايمانية التي كانت تنوم أقل الأخطار
 قلبها ، ولقد شعر بخطور « البشفية » شعوراً صحيحاً في غربى
 العالم الاسلامى المؤمن المجاهد الغازى المرحوم أنور باشا
 وزير حرب تركيا سابقاً الذى أسس جبهة قوية ضد
 الشيوعيين بتظيمه سكان تركستان . و قد وقعت عدة
 اشتباكات بينه وبين البشفويين في الفترة بين ١٩٢١م ١٩٢٢م
 و في ٤ أغسطس ١٩٢٢ سن غارة بمقربة من قرية « سكن »



على كتيبة من القوات الروسية و كان عددهم كبيراً فاستشهد
 في هذه الغارة أنور باشا رحمه الله ، صادف ذلك يوم الجمعة
 ٧ من شهر ذى الحجة ١٣٤٠ هـ على الأغلب (١)

هذه الثورة البلشفية لم تشمل دول آسيا المتوسطة
 الخصبه التاريخية ذات السكان المسلمين ، و تركستان الروسية
 والصينية وحدها و لم تهددها بالردة الفكرية والحضارية لحسب
 بل جعلت أجيالها الصاعدة في مواجهة الردة الايمانية
 والعقائدية ، و أصبحت تعيد تاريخ الأندلس الذي حدث في
 القرن التاسع ، بل الواقع أن الدول العربية و مركز الاسلام
 فضلا عن شبه القارة الهندية أجبرت على مواجهة هذا الخطر
 الكبير ، و قد بلغ الأمر ببعض الدول العربية إلى أنها
 لم تكتف باستيراد السلاح و الصناعات الجديدة منها بل

(١) للاطلاع على تفاصيل دوافع أنور باشا الاسلامية
 وخدماته الجليلة راجع مقالة الأمير شكيب أرسلان
 الرائعة (الذي كان يعرفه معرفة شخصية) في حواشي
 كتاب « حاضر العالم الاسلامي » .

استوزدت فلسفتها و ايدولوجيتها ، و تحمست في حمايتها
و الدعوة إليها ،

و بالأمس القريب تم للسلطة الشيوعية
الغزو العسكري في أفغانستان التي كانت تعتبر معدن الشجاعة
الاسلامية والحمة الدينية ، و التي أتخفت الهند في كل عهد
بادارين أكفاء ، و حكام و قادة و علماء ربانيين ،
و كانت حصنها الخارجي وحارس حريتها الأمين . و هكذا
وصلت هذه الفتنة العالمية إلى أبواب شبه القارة الهندية .



و من خلال هذا الظلام الحالك الذي عم أواسط القرن
الرابع عشر الهجري حينما لم يكن يترامى بريق أمل في العالم
الاسلامي من أقصاه إلى أقصاه بدت تبشير يقظة جديدة كما
صورها إقبال في شعره الذي معناه :

« جرى دم الحياة في شرايين الشرق الميتة ، إنه
لسر لا يستطيع أن يدركه ابن سينا والفارابي ، والواقع أن
موجة الغرب الهائلة بعثت في المسلم حياة من جديد ، و من

تلاطم أمواج البحر ترتوى الدرر في الأصداف ،
نشأ في العالم الاسلامي وعى سياسى بشكل بارز في
جانب و رفعت أعلام الحرية و الاستقلال ضد الاستعمار
الأجنبي في البلدان المتعددة ، مما أنتج استقلال مصر و الشام
(بجميع أجزائها) والعراق و ليبيا ، وتونس ، والجزائر
و المغرب ، و قامت في أفريقيا دول مسلمة جديدة ،
و تحررت إندونيسيا و ماليزيا و تكونت مملكة باكستان
الاسلامية العظيمة ، و أسهم مسلمو الهند في حرب التحرير
و قدموا فيها تضحيات غالية كانت دليلا على وعيهم السياسى
و حُبهم للوطن ، حتى برزت على خارطة العالم السياسى أكثر
من ٤٥ دولة مسلمة مستقلة ، ٢٤ منها تتمتع بعضوية الأمم
المتحدة و تحفّق أعلامها على مبنى الأمم المتحدة الشاخ ،
كما يتمتع المسلمون بوزن خاص في الأمم المتحدة ، و في
المشكلات و المذاكرات العالمية ، و في كفة ميزان العالم
السياسى أيضاً ، ولو أن هؤلاء المسلمين نضج وعيهم السياسى
و نشأ فيهم شعور بقوتهم السياسية و تمت لهم الوحدة ،



لاستطاعوا أن يكفوا ألواناً من الجور و الظلم ، و ساعدوا
 كثيراً من الشعوب المضطهدة و الدول الضعيفة ، ولو أن الله
 سبحانه رزقهم قادة مخلصين متعفين ، أو أكرم زعماء حكوماتهم
 بالتوفيق و الهداية ، لاستطاعوا أن يؤسسوا دولة إسلامية
 صحيحة في بلدانهم الإسلامية و مناطق نفوذهم ، و ينفذوا
 النظام الشرعي و يطبقوا القوانين الشرعية ، و استطاعوا أن
 يقيموا في حدود دولهم و أقطارهم مجتمعاً إسلامياً نموذجياً ،
 و بيئة فاضلة خلقية و روحانية مطبوعة لله و أحكامه ،
 شاعرة بمسئوليتها و واجباتها ، لا يوجد لها أمثلة إلا
 في صفحات التاريخ بمسافة قرون ، و قد قطع منها العالم أمله
 بتأناً حتى إن المسلمين أنفسهم أغفلوها و استغنوا عنها ، و هي
 تكفي اليوم أيضاً لكي تنبه الفكر الانساني و تجبر المسكرين
 الشرقي و الغربي على التفكير في القضية جديداً ، و أن تمد
 لنشر الاسلام طريقاً جديداً .

كذلك إذا عزم المسلمون على استعمال وزنهم و أهميتهم
 السياسية في محلها و شعروا بمسئولياتهم و واجباتهم شعوراً كاملاً

لاستطاعوا أن ينفذوا تلك الانسانية التي يتحكم فيها المسكران
الشرقي والغربي كما يريدان ، و إنهم في الهند كذلك
لا يستطيعون أن يصونوا حقوقهم الملية فحسب بذكائهم
و تضاهيهم و قوتهم الخلقية بل يتمكنون من منحها قيادة
خلقية و روحية مع إقازها من ذلك الدمار العام الذي
يخطو إليها بخطوات حثيثة من أجل القلق السياسي المتزايد
و أزمة الأخلاق .

هذا و قد نشأت في العالم الاسلامي حركات ثورية
فكرية و إصلاحية على نطاق أوسع و أقوى بتعذر وجود
نظيرها في سعتها و قوتها في الأوس القريب ، و من مزايا
هذه الحركات الباعثة على الأمل أنها استطاعت التأثير في طبقة
المثقفين و أهل التفكير و العقل (Intellectuals) و توفير
مواد علمية واضحة جذابة لاقناعها وإعادة ثقتها بالاسلام في
جانب ، و في جانب آخر فان نطاقها يتخطى الحدود الجغرافية ،
و هي تغطي مساحة واسعة في العالم الاسلامي ، كما أن لها
جانبا لاما آخر يسترعى الانتباه و هو أن الشباب المثقف

لأول مرة في التاريخ لم يعجبوا بها بحسب بل إنهم تحمبوا
في الدعوة إليها و الانتصار لها أكثر من الشيوخ و من
يتقدمهم في السن .

و نستطيع أن نضرب لذلك مثلاً بحركة « الإخوان
المسلمون » الحركة الاسلامية الكبرى في مصر ، و الحركة
النورية في تركيا ، و حزب التحرير في الأردن و فلسطين ،
و حزب ماشومي في إندونيسيا ، و دعوة التبليغ العالمية في
شبه القارة الهندية و الجماعة الاسلامية فيها ، و لا يشترط
أن يوافق هذه الحركات أحد مائة في المائة إلا أنه مما لا يمكن
جحدته أن لها من التأثير و السعة و القبول ما لا يستهان
بقيمته ، كما أن لشعر محمد إقبال القوى الباعث للروح
و الطموح (الذي يفوق في القوة و التأثير و الشمول بين
الأدب الاسلامي و شعره ، في القرون السابقة) سهماً
كبيراً في بعث الايمان و الهمة و الابهاء بين الشباب المسلم
و الطبقة المثقفة .

XX

و مع تقييم أساليب الدعوة و العمل الاسلامي الذي



تقوم به هذه المنظمات و الجماعات الاسلامية ، و تقدير جهودها ، لا مانع من الاشارة - و لو في غاية الاجمال - الى النقاط التالية التي يجب التركيز عليها في الاتفاضة الاسلامية الجديدة ، و صيانة المجتمع الاسلامي من الجاهلية التي يتطلبها القرن الخامس عشر الهجري في ضوء الواقع و تجارب الماضي .

١- تحريك الايمان في نفوس الشعوب و الجماهير المسلمة و إثارة الشعور الديني فيها . فان تمسك هذه الشعوب و الجماهير بالاسلام و تحمسها له ، هو السور القوى العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد ، و كثير من القيادات و حكومات العالم الاسلامي في حظيرة الاسلام ، و هي مادة الاسلام و رأس ماله ، و الخانات الكريمة التي تستخدم لآي غاية نبيلة ، و هي من أقوى المجموعات البشرية و أحسنها سلامة صدر و قوة عاطفة ، و إخلاص .

وذلك مع تحقيق الشروط ، و الصفات التي تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله . و التغلب على المشكلات ،



و الانتصار على العدو ، لتصحيح العقيدة ، وإخلاص الدين لله ، و الابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة ، و العادات الجاهلية ، و التقاليد غير الاسلامية ، و عن النفاق ، و التناقض بين العقائد و الحياة ، والقول والعمل ، و سير الأمم القديمة التي استحضت بها عذاب الله وخذلانه ، و كذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسيت الله ، فأنساها نفسها ، و قادت العالم إلى النار و الدمار .

هذا مع تمية الوعي الصحيح و تربيته و الفهم للحقائق و القضايا ، و التمييز بين الصديق و العدو ، و عدم الانخداع بالشعارات و المظاهر ، حتى لا تتكرر مآسى وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية ، و النعرات القومية ، أو المعصيات اللغوية ، و الثقافية ، و لعبة القيادات الداهية و المؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحية سذاجتها و ضعفها في الوعي الديني و العقل الايماني .

٢- صيانة الحقائق الدينية و المفاهيم الاسلامية من التحريف و إخضاعها للتصورات العصرية الغريبة ، أو

المصطلحات السياسية و الاقتصادية و التجنب عن تفسير
الاسلام تفسيراً سياسياً بحتاً . و المقالة في « تنظير الاسلام »
و وضعه على مستوى الفلسفات العصرية و النظم الانسانية ،
لان هذه الحقائق الدينية ، هو أساس الاسلام الدائم ،
و الاصل الذي منه البداية و إليه النهاية . و إليها كانت
دعوة الانبياء ، و في سبيلها كان جهادهم و جهودهم ، و بها
نزلت الصحف السماوية .

و الحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله و العبد
و الايمان بالآخرة و أهميتها و يضعف في المسلم عاطفة
امثال أمر الله و طلب رضاه ، و الايمان و الاحتساب ،
و القرب عند الله تعالى ، و هذا التحول يفقد هذه الأمة
شخصيتها و قوتها ، و قيمتها عند الله ، و كذلك الحذر من
كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، و الشرك الجلي ،
و العادات و العبادات الجاهلية ، و الاكتفاء بمحاربة النظم
و التشريعات و الحكومات غير الاسلامية ، فان ذلك يتجه



بهذا الدين عن منهجه القديم السماوي إلى المنهج الجديد السياسي .

٣- تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبي ﷺ ، والحب العميق له ، الذي يؤثره على النفس ، و الأهل ، و الولد ، كما جاء في الحديث الصحيح ، و الايمان به كخاتم الرسل ، و إمام الكل ، و منير السبل ، و الحذر من كل العوامل و المؤثرات التي تسبب تجفيف منابع هذا الحب ، و إضعافه على الأقل ، و تحدث جفافاً في الشعور ، و ضعفاً في العمل بالسنة ، و تجرؤاً في القول . و انصرافاً عن الاختيار به ، و الولوج بدراسة سيرته ، و كل ما يحرك هذا الحب و يغذيه ، و لعل البلاد العربية (بفعل أحداث ، و دعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة ، و أحق بها من غيرها ، ففيها كانت البعثة المحمدية ، و في لغتها نزل القرآن . و نطق الرسول .

٤- إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة ، و من يدهم القيادة الفكرية و التربوية ، و الاعلامية ، في البلاد و الحكومات

الاسلامية بصلاحية الاسلام وقدرته ، لا على مسابرة العصر
و تطوراته و تحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشرى
إلى الغاية المثلى ، و تجديد سفينة الحياة إلى بر السلام
و السعادة ، وإيقاظ المجتمع البشرى من الانهيار والانتحار ،
الذى تعرض لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء ، و أنه ليس
« بطارية » قد نفذت شحنتها أو ذبالة قد نفذ زيتها ، واحترقت
فتيلتها ، بل هو الرسالة العالمية الخالدة ، و سفينة النجاة التى
هى كسفينة نوح ، لا ينجو إلا من ركبها .

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقدها هو داء هذه الطبقة
المثقفة الناشئة فى أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ،
و هو المسؤل عن كل تصرفاتها و سبب الردة الفكرية ،
و الحضارية ، و التشريعية التى تكتسح العالم الاسلامى من
أقصاه إلى أقصاه ، وتعانى منه الشعوب المسلمة - التى لا تفهم
إلا لغة الايمان و القرآن ، و لا تتحمس إلا للاسلام -
و سبب حدوث هذا الخلل العميق ، الواسع بين القيادات
و الحكومات ، و الشعوب والجمهير ، و سبب القلق الذى

يساور النفوس ، ويستهلك القوى والطاقات في ما لا يعود على الأمة والبلاد بفائدة .

٥- قلب نظام التربية و التعليم المستورد من الغرب ، المتشر السائد في العالم الاسلامي ، رأساً على عقب ، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً ، يتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة ، و عقيدتها ، و رسالتها ، و قامتها ، و قيمتها ، لا يبعد هذا الصوغ عنه عناصر الالحاد أو المادية ، وتصور هذا الكون تصوراً مادياً ، والعلوم وحوادث متناثرة متناقضة ، والطبيعة حرة قاهرة ، والتاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة لقلق و صراع دائمين ، وهكذا ، ولا يصلحه إصلاحاً جزئياً ، لحسب بل يبتكر ابتكاراً جذرياً ، مهما استفد من الطاقات ، و كلف من الوسائل و النبوغ و العبقريات ، و بغير ذلك لا يقوم العالم الاسلامي على قدميه ، و برأسه ، و عقله ، و إرادته و تفكيره ، و لا تدار الحكومات ، و الأجهزة الادارية ، و المرافق العامة برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين ، يطبقون التعاليم الاسلامية في الحكومة و الادارة ، و التربية

والاعلام ، والمجتمع ، فتمثل الحياة الاسلامية بجمالها وكمالها ،
وينشأ المجتمع الاسلامي بسماته وخصائصه .

٦- حركة علمية قوية دولية ، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة ،
بذخائر الاسلام العلمية وتراثه المجيد ، وتنفض في العلوم الاسلامية
روحاً من جديد ، و تثبت على العالم المتمدن ، أن الفقه
الاسلامي و قانونه من أرقى القوانين و أوسعها في العالم ،
و هو يقوم على أساس من المبادئ الخالدة التي لن تلى
ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام ، وهي تصلح لمسايرة
الحياة الانسانية في كل زمان ومكان ، وتغنيها عن كل قانون
وضعت أيدى الناس .

٧- الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الانسانية ،
وفي مشاعر الأمة ، وأحاسيسها ، وتجريد أمة عن حضارتها
الخاصة - التي نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعته ،
وكان في صياغتها نصيب كبير للذوق الديني الخاص ، وطابع
هذه الأمة الخاص - مرادف لعزلها عن الحياة ، وتحديدتها
في إطار العقيدة و العبادة ، و الطقوس الدينية الضيق ،



و فصل حاضرها عن ماضيها ، فلا بد للحكومات الاسلامية ،
والمجتمعات الاسلامية من التخطيط المدنى الاسلامى المستقل ،
البعيد عن تقليد الغرب الأعمى ، و الارتمالية ، و مركب
النقص ، و لا بد من تمثيل الحضارة الاسلامية فى عواصمها ،
و فى دوائرها ، و فى بيوتها ، و فى مجتمعاتها ، و فى فنادقها
و منزهاتها ، و إلى حد فى مكاتبها و طائراتها ، و سفاراتها ، و بذلك
لا يعرض العالم الاسلامى نموذجاً للحياة الاسلامية ، و المثل
الاسلامية لمخسب ، بل يقوم بدعوة صامتة للإسلام .

٨- معاملة الحضارة الغربية - بعلومها و نظرياتها و اكتشافاتها
و طاقاتها - كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر ، و ولاية
الأمور فى العالم الاسلامى ، حضارة قوية ، عصرية ، مؤسسة
على الايمان و الأخلاق و التقوى ، و الرحمة ، و العدل فى
جانب ، و على القوة و الانتاج ، و الرفاهية ، و حب الابتكار
فى بجانب آخر ، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه
أممهم ، و بلادهم ، و ما ينفع عملياً ، و ما ليس عليه طابع
غرب و شرق ، و يستغنون عن غيره ، و يعاملون الغرب

كزميل وقرين ، إن كان في حاجة إلى أن يتعلوا منه كثيراً ، فهو في حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منهم أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

٩- إقناع الحكومات - في بعض البلاد الإسلامية التي مثلت دوراً رائعاً في تاريخ الدعوة والحضارة الإسلامي - المشغولة بحرب إبادة للعنصر الإسلامي ، أو عملية « تطوير الإسلام » ، وتفسيره وفق مصالحها السياسية ، أو أهواء قادتها الشخصية ، بأنها سياسة عقيمة لم تنجح في بلد إسلامي ، و إقناعها بتوجيه طاقاتها وإمكاناتها إلى عدو مشترك ، وإلى ما يقوى البلاد و الأمة .

و إقناع الحكومات المسلمة - المسالمة للإسلام - بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتهيئة الجو المناسب ، المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله ، وسعى لتكوين قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الإسلامي ، والتعاون على البر والتقوى - والشعور بالتقصير على الأقل - بعدم وجود الإمامة العامة ، أو الخلافة

الاسلامية التي كلف بها المسلمون و سيحاسبون عليها .
١٠- أما في البلاد غير الاسلامية فالقيام بالدعوة إلى الاسلام
و التعريف به بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الاسلام
و روح العصر ، وأما في البلاد التي فيها الاقليات المسلمة ،
فالاهتمام بتمثيل الاسلام ، و الحياة الاسلامية
تمثيلاً يلفت إليه الأنظار ، و يستهوى القلوب ، و القيام
بالقيادة الخلقية و الروحية ، و قبول مسؤولية إقناذ البلاد
و المجتمع من الانهيار الخلقى ، و الخواء الروحى ، و التدهور
الاجتماعى الذى تعرضت له هذه البلاد ، حكومة و شعباً ،
حتى يتبنا الاسلام أن يثبت جدارته و حاجة البلاد إليه ،
و يتبنا للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغى و القيادى فى
هذه البلاد .

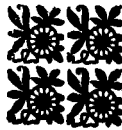


إن التاريخ شاخص يبصره فى مطلع هذا القرن إلى من يحقق
مطالب العصر و الاسلام التي شرحناها ، و يقوم بهذه التجارب
الجريئة الحكيمة ، و المؤرخ عمسك قلبه بسطر به سطور

ثناء والاحلال ، وبقائه الزعامة الحقيقية في العالم الاسلامي ،
و العبقريّة و العصاميّة في التاريخ الاسلامي .
« إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار ، وأذنت
بالأفول والروال ، إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد
قوتها الذاتية ، و جدارتها للحياة و البقاء بل لأنها ليست
في هذا المجال - من تعاسة الحظ - حضارة تحمل محلها وتسد
فراغها ، إن جميع الحضارات المعاصرة والقيادات الحديثة اليوم
لا تعدو نوعين ، إما هي مقلدة جامدة و صورة شابهة
للحضارة الغربية ، وإما هي ضعيفة هزيلة ، مريضة سقيمة ،
منسحبة منهزمة ، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أو تقف
معها جنباً إلى جنب ، فإذا قامت هذه الدول الاسلامية ،
و العالم الاسلامي بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذي
سيحدث بعد نهاية هذه الحضارة و انسحابها عن مسرح
القيادة رد إليه منصب قيادة الجنس البشري ، و توجيه
الشعوب المعاصرة مرة ثانية ، المنصب الذي لا يفوض إلا
إلى أمة فتيّة قوية أبية تحمل كل عناصر البقاء و الاستمرار

و التقدم و الازدهار سنة الله في الأرض ، و لن تجد
لسنة الله تبديلا .

فليظن هؤلاء القادة و الحكام ما هو أولى لهم وأجدر
بشأنهم ؟ التمسك بأذيال القرب و الوقوف على باب كالشحاذين ،
أم منصب قيادة الانسانية ، و هداية الشعوب الضالة التي
لا كرامة - بعد النبوة - مثل هذه الكرامة ؟ ذلك المنصب
العالي السامى الذى تتلاشى عنده جميع هذه الألقاب
و الشارات ، و الشعارات و الهنافات و المناصب الرفيعة ،
و الحياة الناعمة المريحة و الاغراءات المادية الجنسية ، إنها
سلعة غالية لا يخسر بها المشتري ، ولو ضحى بنفسه مائة مرة .



لتفصيل الاجمال الذي جاء في هذه الرسالة و إيضاح
الاشارات التي وردت في هذا الكتب اقرأوا ما يلي :

١- الدعوة إلى الله :

[حماية المجتمع من الجاهلية وصيانة الدين من التحريف]

الناشر : المجمع الاسلامي العلمي ندوة العلماء لكتنو

٢- أهمية الحضارة في تاريخ الديانات و حياة أصحابها

الناشر : المجمع الاسلامي العلمي ندوة العلماء لكتنو

٣- نحو التربية الاسلامية الحرة في الأقطار الاسلامية

الناشر : مؤسسة الرسالة بيروت

٤- الطريق إلى المدينة — الناشر : دار القلم بيروت

٥- الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية في الاقطار
الاسلامية

الناشر : دار القلم الكويتية

٦- رجال الفكر والدعوة في الاسلام ج ١

الناشر : دار القلم الكويتية

٧- منهج أفضل في الدعوة والاصلاح للدعاة و العلماء

الناشر : المجمع الاسلامي العلمي ندوة العلماء لكتنو

و كلها تتوافر

صدر حديثاً للمؤلف :

روائع من أدب الدعوة في القرآن و السيرة

محاضرات في مناهج الدعوة و آدابها
أقيمت في المعهد العالي للدعوة و الفكر الاسلامي
التابع لجامعة دارالعلوم ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

ملنزم النشر و التوزيع
المعهد العالي للدعوة و الفكر الاسلامي

يطلب من
المجمع الاسلامي العلمي
ص . ب ١١٩ لكهنؤ (الهند)